الفحل لا يقرع انفه وهذا كلام يقال للخاطب اذا كان على هذه الصفة لان الفحل اللئيم اذا اراد الضراب ضرب انفه بالعصا وقد قال ذلك ابو سفيان بن حرب بن أمية عندما بلغه من تزويج النبي بأم حبيبة وقيل له مثلك تنكح نساؤه بغير إذنه فقال ذلك الفحل لا يقرع أنفه والحمار الفاره يفسده السوط وتصلحه المقرعة وأنشد لسلامة بن جندل .

(إنا اذا ما أتانا صارح فزع ... كان الصراخ له قرع الظنابيب) .

وقال الحجاج وا لأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل وذلك لان الاشجار تعصب اغصانها ثم تخبط بالعصي لسقوط الورق وهشيم العيدان ودخل ابو مجلز على قتيبة بخراسان وهو يضرب رجالا بالعصي فقال ايها الامير ان ا قد جعل لكل شيء قدرا ووقت فيه وقتا فالعصي للأنعام والبهائم والسوط للحدود والتعزيز والدرة للأدب والسيف لقتال العدو والقود .

ثم قال الشرقي دعنا من هذا خرجت من الموصل وانا أريد الرقة مستخفيا وانا شاب خفيف الحال فصحبني من أهل الجزيرة فتى ما رأيت بعده مثله فذكر انه تغلبي من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مزود وركوة وعصا فرأيته لا يفارقها وطالت ملازمته لها فكدت من الغيظ عليه أرمي بها في بعض الأودية فكنا نمشي فاذا اصبنا دواب ركبناها واذا لم نصب الدواب مشينا فقلت له في شأن عصاه فقال لي ان موسى بن عمران صلوات ا وسلامه على نبينا وعليه حين آنس من جانب الطور نارا واراد الاقتباس لأهله منها لم يأت النار من مقدار تلك المسافة القليلة الا ومعه عصاه فلما صار بالوادي المقدس من البقعة المباركة قيل له ألق عصاك واخلع نعلك فرمى نعليه راغبا عنهما حين نزه ا ذلك الموضع عن الجلد غير الذكي وجعل ا جماع أمره من أعاجيبه وبرهاناته في عصاه ثم كلمه من جوف شجرة ولم يكلمه من جوف انسان ولا جان .

قال الشرقي انه ليكثر من ذلك واني لاضحك متهاونا بما يقول فلما برزنا على حمارينا تخلف المكاري فكان حماره يمشي فاذا تلكأ اكرهه بالعصا وكان حماري لا ينساق واعلم انه ليس في يدي شيء يكرهه فسبقني الفتى الى